

دور الكتابة في حفظ القرآن والسنة

The role of writing in preserving the Qur'an and Sunnah

د. بوسنة رابح*

جامعة 8 ماي 1945 - قالمة.

Boucennarabah@live.fr

تاريخ الاستلام: 2022/12/13 تاريخ القبول: 2023/04/20

- **الملخص:** للكتابة دور كبير في الحفاظ على النصوص الدينية التي أوحى الله بها إلى رسله، رغم ما طالها من تحريف وتغيير إلا من حضى منها بشرف الحفظ والعناية الإلهية، ومن هذه النصوص التي تكفل الله بحفظها القرآن الكريم وبدرجة أقل السنة النبوية، وهذا البحث يهدف لتوضيح الزمن الذي بدأت فيه عملية كتابة نصوص الوحيين، وهنا تتجلى أهمية الموضوع في كونه يتناول قضية من أهم القضايا في تاريخ الإسلام، لهما علاقة مباشرة بمصادقية النصوص التي وصلتنا والتي هي أساس وقوام جميع العلوم والمعارف الشرعية، وعليه طرحنا إشكالية مدى مساهمة الكتابة في المحافظة على نصوص الوحيين القرآن والسنة، بالإعتماد على المنهج التاريخي الذي يتناسب مع هذا النوع من البحوث، توصلنا إلى أن الكتابة قد ساهمت فعلا بدور كبير في المحافظة على القرآن كإجراء احتياطي ثان يلي الرواية، ثم تأت السنة من حيث الاهتمام في درجة ثانية بعد القرآن الكريم.
- **كلمات مفتاحية:** الكتابة - التدوين - القرآن - السنة.

Abstract:

Writing has a great role in preserving the religious texts that God revealed to His messengers, Despite the distortion and change that occurred except for the texts that received the honour of preservation and divine providence ,

and this research aims to clarify the time that In it, the process of writing the texts of the two revelations began, and here the importance of the topic is evident in that it deals with one of the most important issues in the history of Islam. And Here, the importance of the topic is evident in that it deals with one of the most important issues in the history of Islam, which is directly related to the credibility of the texts that have come down to us, which are the basis of all sciences legal .

We therefore raised the problem of the extent to which writing contributes to the preservation of the texts of the the Qur'an and Sunnah.

And based on the historical approach that fits with this type of research, we concluded that writing has really contributed a great role in preserving the Qur'an and the Sunnah of the Prophet.

Keywords: writing - blogging - the Qur'an - Sunnah.

مقدمة: من الثابت لدي جميع المسلمين بأن رسالة الإسلام رسالة عالمية دل على ذلك قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)¹، كما أنه رسالة خالدة وخاتمة للرسالات السابقة، والوحي المنزل على سيدنا محمد (ص) هو كلمة الله الأخيرة للإنسان لقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً)².

إن هذه الخصائص تقتضي بالضرورة أن يتم حفظ هذا الدين من الضياع والتحريف والتزييف، وأن يكون مصوناً من أن تصل إليه أيدي الناس تعبت بنصوصه وتغير حقائقه، وإذا كان القرآن الكريم قد تكفل الله بحفظه وصيانته على خلاف السنة النبوية التي طالها الكثير من الوضع والكذب، حيث قال الله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)³، وفي كلا الحالتين وجد علماء الإسلام أنفسهم ملزمين بالقيام بالكثير من الجهود من أجل تحقيق هذا الهدف الكبير ونيل شرف هذه الغاية العظيمة، وسلخوا أهم وسيلة لذلك وهي الكتابة والتدوين بدل الاعتماد على الحفظ وحده.

لهذا عدت الكتابة الوسيلة الآمنة والناجعة في الحفاظ على النص بل والحفاظ على كل الموروث العلمي والثقافي للمسلمين، وقد كان العرب لا سيما الغساسنة في شمال الجزيرة والمناذرة في جنوبها قد عرفوا الكتابة منذ عهود غابرة كما دلت عليه بعض النقوش التي يعود تاريخها إلى ما قبل القرن الثالث قبل الميلاد، وأكثر الآثار التي تحمل كتابات العرب كانت في الأطراف الشمالية للجزيرة العربية⁴. وفي اليمن دلت النقوش على وجود حضارت قامت بها دول معين وسبأ وحمير، وفي الحجر حيث وجدت ثمود ولحيان، وفي بترا حيث قامت دولة الأنباط... كل هذا يدل على أن العرب كانوا يحسنون الكتابة حتى قبل الألف الأولى من الميلاد⁵، وكذلك الحال عند العرب الذين أرسل الله تعالى إليهم آخر نبي وأنزل فيهم آخر وحي سماوي وهما الوحي المباشر المتمثل في القرآن الكريم، والوحي غير المباشر أو الحكمة والمتمثل في السنة النبوية.

وهذه الورقة حاولنا الإجابة فيها على السؤال التالي: إلى أي مدى ساهمت الكتابة عند العرب في الحفاظ على نصوص الشريعة الإسلامية؟ وهذا من خلال التطرق لدور الكتابة في المحافظة على نصوص القرآن الكريم أولاً، ثم دورها في المحافظة على نصوص السنة النبوية ثانياً.

1- دور الكتابة في حفظ القرآن الكريم:

في قوله تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)⁶. إشارة إلى كتابة الوحي، فالحفظ هو الصون، والمعنى أن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن وصيانته من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان والإهمال والضياع، وهذا لا يكون إلا من خلال أدوات الحفظ وهما: الحفظ في الصدور والحفظ في السطور، وأبلغ وسيلة هي الحفظ في السطور، لأن الحفظ في الصدور قد يتطرق إليه النسيان والشك، بينما المحفوظ في السطور يبقى مثبتاً ومصوناً من كل تلك العوارض.

¹ - سورة الأنبياء الآية 107.

² - سورة المائدة الآية 03.

³ - سورة الحجر الآية 9.

⁴ - محمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، السنة قبل التدوين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان

الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، مج 1، ص 95.

⁵ - أنظر: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، دار الجيل بيروت لبنان، ط 7، سنة 1988، ص 1. وما يعدها وهو يستعرض الحضارات التي أسسها العرب قبل الإسلام.

⁶ - سورة الحجر، الآية 09.

ورغم ما قيل بأن عرب الحجاز كانوا أميين لا يقرؤون ولا يكتبون كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾¹، ونفس الحال بالنسبة للرسول المبعوث إليهم، حيث قال الله تعالى فيه: "وما كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ يَمِينُكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ"²، حيث يقول المفسرون بأنه -أي النبي محمد (ص)- لم يزل أميا بين أمة أمية لا يكتب ولا يقرأ حتى أكمل الأربعين من عمره³، لكن التوجيه الصحيح للآيتين أن الأمية تعني أنه لم يكن لهم كتاب سماوي ولا شيء من آثار النبوات السابقة، ولم يكن لهم اشتغال بقراءة الصحف السماوية ولا بنسخها وكتابتها كما هو الحال عند أهل الكتاب.

وما يدل على أن القراءة والكتابة كانتا منتشرتين في الجزيرة العربية، الصحيفة التي كتبتها قريش لمقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب وبني عبد مناف وعلقوها في سقف الكعبة⁴ وما علقت هنا إلا ليقراها الناس وإلا فما الجدوى من تعليقها، ويدل على ذلك أيضا كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله (ص)⁵.

ومن هنا نفهم سر اعتراض قريش للنبي (ص) بأنه نقل ما يتلوه عليهم من وحي عن الأمم الأخرى، فقالوا: "وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا"⁶، فما اهتموه بذلك إلا لأنهم يدركون بأنه بإمكانه القراءة والكتابة، ولهذا كانت الحجة في الرد على هذا الزعم بأنه (ص) لم يكن قبل الوحي إليه يقرأ الكتب السماوية أو يخطها يمينه ولا ترك مكة وانتقل إلى غيرها من المدن والقرى فتعلم

¹ - سورة الجمعة ، الآية 2.

² - سورة العنكبوت، الآية 48.

³ - عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تفسير ابن رجب، دار العاصمة سنة 1422 هـ - 2001 م، الطبعة الأولى، ص 426.

⁴ - تقول الروايات بشأن هذه الصحيفة أنه لما تواتق بنوا عبد المطلب وبنو هاشم كلهم مسلمهم وكافرهم على حماية محمد (ص) لم يجد المشركون بدا سوى اللجوء إلى أسلوب المقاطعة، فاجتمعوا في خيف بني كنانة من واد المحصب وتحالفوا على بني هاشم وبني عبد المطلب وبني عبد مناف أن لا يناكحهم ولا يبايعهم ولا يجالسهم ولا يخالطهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يكلموهم حتى يسلموا إليهم محمدا للقتل وكتبوا بذلك صحيفة فيها عهد ومواثيق وعلقوها في سقف الكعبة

أنظر: - ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد، دار بن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1، سنة 1999، ص 378.

- صفى الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة ، القاهرة وشركة الشهاب، الجزائر، سنة 1987، ص

128.

⁵ - وخلاصة القصة أن حاطب بن أبي بلتعة خط بيده كتابا إلى قريش يريد أن يخبرهم بخروج النبي (ص) إليهم، وكان قد أرسله مع امرأة عام الفتح، فبعث رسول الله (ص) عليا والمقداد و قال : "اذهبوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ضعينة معها كتاب فخذوه منها"، فجاءها فأنكرت، فقال علي: لتخرجن الكتاب أو لنجردنك فاعترفت وأخرجت الكتاب من قرون رأسها، فإذا فيه: "من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش...." يخبرهم بمسير رسول الله (ص).

أنظر القصة في:

- صفى الرحمان المباركفوري، مرجع سابق، ص 472.

- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة ، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 298.

⁶ - سورة الفرقان ، الآية 5.

هناك، كما فعل البعض من العرب في زمنه ممن يسمون بالحنفاء أو الموحدين، مثل ورقة بن نوفل، وأمّية بن أبي الصلت، وعثمان بن الحويرث، وقس بن ساعدة وغيرهم، ممن تركوا عبادة الأصنام وانكبوا على الأنجيل قراءة وكتابة.

ولما أمر الرسول (ص) بالقراءة في غار حراء قال لجبريل والخوف قد تملكه (ما أنا بقارئ)، والتي قد تعني أنه لم يسبق له قراءة شيء من الوحي قبلاً، وليس يعني أنه لا يعرف القراءة من كتاب، إذ لم ينزل جبريل بالوحي أو صحف مكتوبة حتى يقول للنبي (ص) اقرأ منها، ولهذا أمره الله تعالى بعد ذلك ألا يستعجل بالقراءة فقال تعالى "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ"¹، فكان الرسول (ص) يقرؤه على الصحابة على مكث وتؤدة وبلا استعجال "قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا"².

وكان الصحابة يتلقون الوحي من النبي - ص - مباشرة، فهذا ابن مسعود يقول: "والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة"³، وكانوا يتلقونه بحروف مختلفة، وهذا ما جعل بعضهم ينكر على بعض قراءته، لكن وجود النبي (ص) بينهم كان يحول من أن يتحول الاختلاف إلى خلاف ونزاع، كما حصل بين عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم (ض)⁴.

لكن الثابت أن النبي (ص) لم يشأ أن يترك القرآن محفوظا في الصدور، ويكتفي بذلك اعتمادا على الحفظ الجيد للصحابة، بل أمر جماعة من أصحابه بكتابته بما تيسر لهم من أدوات الكتابة، حيث تمت كتابة القرآن الكريم كله في حياة النبي (ص)، ومن أوضح الروايات على ذلك ما رواه الطبراني عن زيد بن ثابت (ض) أنه قال: "كنت أكتب الوحي عند رسول الله وهو يملي عليّ، فإذا فرغت، قال: اقرأه، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه".

غير أنه لم يكن مجموعا في مكان واحد، بل كان مفرقا في العسب والخاف والرقاع والأفتاب⁵، ومن أبرز وأشهر كتبة الوحي الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وأبان بن سعيد بن العاص، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وأرقم بن أبي الأرقم... وغيرهم⁶.

1-1- مرحلة الخلافة الراشدة.

لقد جمع القرآن الكريم في زمن الخلافة الراشدة مرتين اثنتين، الأولى في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (ض)، والثانية في زمن الخليفة عثمان بن عفان (ض).

1-1-1- الجمع الأول:

¹ - سورة القيامة، الآية 16، 17، 18.

² - سورة الإسراء، الآية 106.

³ - محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح الجامع، دار ابن الهيثم، ط1، سنة 2004، حديث رقم 5000، ص 608.

⁴ - صحيح البخاري، حديث رقم 4992، ص 607.

⁵ - العسب بضم العين و سكون السين أو ضمها جمع عسيب وهو جريد النخل.

⁶ - كما في حديث: "خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب" أخرجه البخاري، حديث رقم 4999، ص 608.

كان للرسول (ص) - كما سبق القول - عدة كتاب عد منهم ابن القيم في زاد المعاد 15 صحابياً¹، ويبدو أن الكتاب من أهل مكة الذين كتبوا القسم المكي من القرآن كانوا أكثر عدداً²، ويليهم كتاب الطائف مقارنة بغيرهم ولا سيما بالنسبة لسكان يثرب، وهذا ما يفسر طلب الرسول (ص) من أسرى بدر وهم من قريش أن يفتدي كل كاتب نفسه بتعليم عشرة من المسلمين.

ومن بين هؤلاء الكتبة وقع الاختيار من طرف الخليفة أبي بكر ومن بعده عثمان في عملية الجمع وكتابة الوحي، وبخصوص جمع نصوص القرآن التي كانت مفرقة ما بين مكتوب ومسطور زما بين محفوظ في الصدور فقد أخرج البخاري بشأنها أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ، مُثَلِّلٌ أَهْلَ الْيَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقُرْآنِ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ الْقَتْلُ بِالْقُرْآنِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ لِعُمَرَ: كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لَا نَتَهَمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَّبِعُ الْقُرْآنَ فَاجْمَعُهُ. فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ. قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَتَتَّبَعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسْبِ وَاللَّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي حُرَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ، لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} حَتَّى خَاتِمَةَ بَرَاءَةٍ، فَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتِهِ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»³.

وبهذا المنهج تم جمع ما كان مفرقا من آي القرآن الكريم، ورتبت آياته بحسب ترتيبها في زمن النبوة، ووقع الاختلاف في ترتيب السور هل تم في عهد أبي بكر أم في عهد عثمان (ض)، لكن المتفق عليه أنه كتب من القرآن ما ثبت وتواتر، مع إهمال ما نسخ من الآيات وما شذ من الوحي، وأنه روعي في كتابته الأحرف السبعة التي ثبتت عن النبي (ص).

1-1-2- الجمع الثاني :

وفي هذا الدور من أدوار العناية بالقرآن وضبطه، تمت كتابة المصاحف بصورة فعلية، حيث ظل منذ الجمع الأول مكتوبا فيما عثر عليه لدى الصحابة في الجلود والقماش والعشب والعظام والحجارة⁴، فتمت كتابته في مصحف واحد

¹ - ابن القيم، مرجع سابق، ص 44.

² - صبحي الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1959، ص 17.

³ - صحيح البخاري، حديث رقم 4986، ص 606.

⁴ - الأشياء التي يكتب عليها كثيرة و متعددة حيث استعملوا الجلود بأنواعها من الرق (جلد رقيق) والأديم (جلد أحمر مدبوغ) والقضيم (جلد أبيض)، كما أنهم استعملوا القماش بنوعيه الحرير والقطن وتسمى بعد أن تسقى بالصمغ تصقل "مهرق" جمعه مهراق، من الكلمة الفارسية "مهركرد"، وكانت قليلة

مرتب بحسب ترتيب النزول، وقد استعمل من أدوات الكتابة ما كان متوفرا آنذاك، فكانت وسيلة الكتابة هي القلم المصنوع من القصب بعد أن يقلم ويبرى، ثم يغمس في دواة بها حبر أو أي مداد يترك أثرا. وبخصوص ما ورد بشأن كتابة المصحف وجمعه في هذه الفترة فنورد الأثر التالي:

قال أنس بن مالك (ض) «أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُعَازِي أَهْلَ الشَّامِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَّةٍ وَأَذْرَبِجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْرَغَ حُذَيْفَةُ اخْتِلَافَهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَدْرَكَ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ، اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسُخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكَ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَتَسَخُّوْهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَارْكُتُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أَقْفٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ»¹.

ومنذ ذلك الحين سميت المصاحف بالمصاحف العثمانية والخط الذي كتبت به يسمى أيضا بالخط العثماني نسبة إلى سيدنا عثمان (ض)، وقواعده تختلف عن قواعد الرسم الإملائي من حيث الحذف والزيادة والمد والهمز والإبدال والوصل والفصل وغير ذلك²، وبه تخط به المصاحف إلى اليوم، لأنه يمتاز بعدة خصائص منها:

- قدرته على استيعاب القراءات المختلفة للقرآن مثل:

- ✓ عباد/ عند في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عند/ عباد الرحمان إناثا" الزخرف 19.
- ✓ قوله تعالى في الآية 94 من سورة النساء: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا (في قراءة فتبتوا)".
- ✓ قوله تعالى في الآية 259 من سورة البقرة: " وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا ۚ " . وفي قراءة (ننشرها).
- ✓ قوله تعالى في الآية 22 من سورة يونس: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ " وفي قراءة (هُوَ الَّذِي يَنْشُرُكُمْ).

- مراعاة مختلف اللهجات العربية: رحمة/ رحمت عند طيئ.

- بيان أصل الحركة كالياء في إيتأي التي هي أصل الكسر. وبيان أصل الحرف كالصلاة/ الصلوة.

أما بالنسبة لنقط الإعجام والإعراب فهي مستحدثة في العصر الأموي، فيذكر ابن العربي أن نقل المصحف إلى نسخه كان على النحو الذي كانوا يكتبونه للرسول (ص) من غير نقط ولا ضبط، واعتمدوا هذا النقل ليبقى بعد جمع الناس على ما في المصحف نوع من الرفق

الإستعمال لندرتها وغلاظها، وأيضاً النباتات: ومنه العشب (جريد النخل)، والكرانيف هي العشب الغلاظ المتصلة بالجذع، وإيضاً الرقاع والخشب ومنه الألواح والروسم والأقناب، والعظام ومنها الأكتاف والأضلاع، والحجارة ومنها اللخاف جمع لخفة وهي حجارة رقيقة بيضاء ضف إلى ما سبق الورق والقراطيس وهما ورق البردي المصري وقيل بل هما من جلد رفيع وقيل غير ذلك. أنظر: ناصر الدين الأسد، مرجع سابق، ص 77.

¹ - صحيح البخاري، حديث رقم 4984، ص 606.

² - أنظر: <https://sites.google.com/prod/view/alitkaan> يوم 2022/09/25 الساعة 10.00.

في القراءة باختلاف الضبط¹، ثم حصل تطور بعد ذلك في هذه المسألة، حيث يذكر المؤرخون أن أبا الأسود الدؤلي هو أول وضع الحركات مستعملا مدادا أحمرًا مخالفًا لمداد المصحف، وجعل النقطة فوق الحرف تشير للفتح، والنقطة في الأسفل تشير للكسر، والنقطة أمام الحرف تشير للضم، والنقطتين للتونين.

ثم تواصلت عملية الضبط بعده على يد كل من نصر بن عاصم الليثي² الذي وضع نقطا على الحروف المتشابهة لتمييزها عن بعضها البعض بنفس لون مداد المصحف لتمييز عن نقاط الإعراب، وغدت الحروف على نوعين حروف معجمة وحروف مهيمة، ولما جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي³ شكل الكلمات بالحركات بدل النقط، وجعل نطق الإعراب عبارة عن واو صغير فوق الحرف للضمة وياء صغيرة تحته للكسر وألفا مبسوطة فوقه للفتح، وأضاف تحسينات أخرى مثل الهمزة والتشديد وكتابة الألف المحذوفة، وعلامات الإقلاب والإدغام والإخفاء، وميز هذه الإضافات بخط أحمر مخالف للون خط المصحف⁴.

1-2- عصر التابعين.

حينما توسعت رقعة الفتوحات الإسلامية، مكث بعض الصحابة في مكة والمدينة وغادر الكثير منهم وأقاموا في البلاد التي دخلها الإسلام، فقاموا بتعليم الناس أمور دينهم ولا سيما القرآن الكريم وتفسيره، فتلقى عنهم الكثير من كبار التابعين القرآن الكريم غضا طريا كما أنزل، فوعوه وحفظوه وكتبوه، وأسسوا مدارس نسبت إليهم في الفقه والتفسير والقراءات وغير ذلك من العلوم والمعارف، ومن هذه المدارس القرآنية:

مدرسة المدينة: ومؤسسها أبي بن كعب، ومن روادها زيد بن أسلم، وأبو العالية الرياحي، ومحمد بن كعب القرظي.

1-2-1 **مدرسة مكة:** ومؤسسها عبد الله بن العباس، ومن روادها سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاووس، وعطاء بن أبي رباح.

1-2-2 **مدرسة الكوفة:** ومؤسسها عبد الله بن مسعود ومن روادها علقمة بن قيس، ومسروق بن الأجدع، وقتادة بن دعامة، وعمرو بن شرحبيل، وأبو عبد الرحمن السلمي.

2- دور الكتابة في حفظ السنة النبوية.

¹ - أنظر: ناصر الدين الأسد، مرجع سابق، ص 34. وهو يرى استنتاجا من بعض المرويات أن النقط كان معروفا قبل ذلك.

² - نصر بن عاصم (ت 100 أو 89 هـ) هو: نصر بن عاصم الليثي، ويقال: الدؤلي البصري النحوي.

ذكره «الذهبي» ت 748 هـ ضمن علماء الطبقة الثالثة من حفاظ القرآن. كما ذكره «ابن الجوزي» ت 833 هـ ضمن علماء القراءات.

تلقى «نصر بن عاصم» القرآن عن خيرة العلماء، وفي مقدمتهم «أبي الأسود الدؤلي» العالم المشهور. أنظر: <https://tarajm.com/people/> يوم 2022/09/27 الساعة 12.00.

³ - هو عربي من الأزد، ونسبه إلى فراهيد بن شبابه الذي ينتهي نسبه إلى عرب قحطان، ولد في عمان عام 718 م وتوفي في البصرة.

⁴ - أنظر في هذا الموضوع: خالد عبد الرحمن العك، تاريخ توثيق نص القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، طبعة ثانية، سنة 1986، ص ص 109-113.

السنة عند علماء الحديث هي "كل ما أثر عن النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية"، وهي بهذا المعنى تشمل حياة النبي (ص) كلها، لكن ما نقل إلينا قبل البعثة كان قليلا جدا ثم أخذ في التوسع شيئا فشيئا إلى أن أخذ منحى واسعا بعد الهجرة النبوية، والسبب أن حركة التشريع لم تبدأ إلا بعد الهجرة، وأن اهتمام الصحابة بالسنة لم يظهر بشكل جلي وواضح إلا بعد الاستقرار في المدينة.

وإذا كان القرآن الكريم قد تكفل الله بحفظه فإن السنة النبوية لا تتمتع بنفس تلك الخاصية، ورغم الجهود الجبارة التي قام بها المحدثون رواية ودراية، ومع هذا فقد عرف الوضع طريقه إلى السنة، ولولا تلك الجهود التي ساهمت في تمييز وتمحيص الحديث المتواتر عن الآحاد والمشهور، والحديث الصحيح من غير الصحيح أي الضعيف والموضوع ثم تدوينه والتصنيف فيه لضاعت السنة، فبفضل هذه المساهمات تم حفظ السنة من الضياع والاندثار.

2-1-1- مرحلة النبوة.

نتناول في هذه المرحلة مسألة المنع الإذن في كتابة السنة، ثم نتبع ذلك بنماذج من هذه الكتابات.

2-1-1-2 السنة بين المنع والإذن في كتابتها.

مرت السنة الشريفة من حيث كتابتها بمحطتين اثنتين وهما:

أ- **المحطة الأولى:** وتعرف بالمنع من الكتابة، فكان الصحابة في أول الأمر يكتبون أقوال النبي (ص) إلى أن نهاهم عن ذلك بقوله: (من كتب عني شيئا غير القرآن فليمححه)¹، بل قد ورد النهي عن كتابة أي شيء يتعلق بالعقائد والشرائع غير القرآن، ومنها كتاب عمر بن الخطاب الذي أتى به إلى النبي (ص) وفيه شيء من التوراة، فغضب النبي (ص)، والسبب في النهي خشية أن يشتغل الناس بما كتبوه عن كتاب الله، وخشية أن يلحقوا ما لبس في القرآن فيجعلوه منه.

ب- **المحطة الثانية:** وهي **محطة الإذن بالكتابة:** ويذكر ابن القيم وغيره أن النهي عن كتابة الحديث في أول الأمر قد نسخ، وأن ذلك كان أول الإسلام خشية أن يختلط الوحي الذي يتلى بالوحي الذي لا يتلى، ثم أذن بالكتابة² إذنا عاما بعدما كتب جل الوحي وحفظه الكثيرون في الصدور والسطور³، وقيل غير ذلك⁴.

ويبدو أن النهي عن الكتابة أو الإذن فيها لم يكن عاما مطلقا، فالنهي توجه لعموم الناس واقتصر في الإذن للبعض منهم ممن يحسن الكتابة ويجيد الفقه والفهم، كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم حيث اختص بكتابة الوحي عدد معين من الصحابة، أو أن هناك مرحلة وسيطة بين النهي العام والإذن العام اقتصر فيها الإذن على البعض ممن يتصف بالضبط والحفظ.

¹ - رواه الإمام مسلم مرفوعا، والحديث أخره البخاري وغيره بالوقف على أبي سعيد، أنظر: محمد بن مطر الزهراني، تدوين السنة والنبوة، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط1، سنة 1996، ص 67.

² - ابن القيم، مرجع سابق، ص 546.

³ - صبحي الصالح، مرجع سابق، ص 20.

⁴ - وقيل بأن النهي يتعلق بجمع القرآن مع السنة في صحيفة واحدة، وقيل النهي مرجعه لمن أتكلم على الكتابة دون الحفظ...

وممن كان يكتب الأحاديث في حياة النبي(ص) عبد الله بن عمرو وله صحيفة تسمى الصادقة، وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن أبيه عنه (أي جده)، جاء في طبقات ابن سعد عن مجاهد قال: رَأَيْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو صَحِيفَةً فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا فَقَالَ: هَذِهِ الصَّادِقَةُ. فِيهَا مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِيهَا أُخْذٌ¹، والأحاديث الواردة بهذا السند يحتج بها أصحاب المذاهب الأربعة².

وقد روى أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن عبد الله بن عمرو(ض) قال: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حَفْظَهُ فَتَهْتَنِي فُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَكْتُبُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ. وروى الترمذي أن سعد بن عبادَةَ الأنصاري كان يملك صحيفة جمع فيها طائفة من أحاديث الرسول وسننه³.

وأورد البخاري في صحيحه أيضاً حديث الرجل اليماني الذي قال للرسول (ص): أَكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ أَكْتُبُوا لِأَبِي فَلَانَ، فَقِيلَ أَيُّ شَيْءٍ كَتَبَ لَهُ؟ قَالَ: كَتَبَ لَهُ هَذِهِ الْخُطْبَةُ⁴.

وممن أذن لهم في الكتابة في حياة النبي(ص) عبد الله بن عباس وأنس بن مالك⁵ وسمرة بن جندب وقد أورد له العسقلاني في التهذيب حديثاً عن ابنه سليمان ثم قال روى عن أبيه (أي سمرة بن جندب) نسخة كبيرة⁶، وأيضاً جابر بن عبد الله⁷، وغيرهم.

وقد ثبت عن الرسول (ص) نفسه أنه كتب بعض الصحف في بيان أحكام الشريعة منها كتابه في الصدقات الذي كان عند أبي بكر الصديق ثم كتبه أبو بكر إلى أنس بن مالك لما بعثه إلى البحرين وعليه عمل الجمهور. وكتابه إلى أهل اليمن الذي رواه أبو بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده، وقد رواه الحاكم في المستدرک والنسائي وأبو داود وغيرهم تارة مسنداً ومتصلاً وتارة مراسلاً وقد تضمن الكثير من الفقه⁸.

2-1-2- نماذج من الكتابات في هذه المرحلة:

¹ - أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، سنة 1990، ج 2، ص 285.

² - ابن القيم، مرجع سابق، ص 546.

³ - أنظر صبحي الصالح، مرجع سابق، ص 24، وقد وقفت على نص الحديث في سنن الترمذي قال: قال ربيعة: وأخبرني ابن سعد بن عبادَةَ قال: وجدنا في كتاب سعد... إلخ أنظر: محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط 2، سنة 1975، حديث رقم 1343، ص 619.

⁴ - رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم 112، ص 24.

⁵ - أنظر: ناصر الدين الأسد، ص 144.

⁶ - أحمد بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط 1، سنة 1908، حديث رقم 335، ج 4، ص 198.

⁷ - أنظر صبحي الصالح، مرجع سابق، ص 25 و 26.

⁸ - أنظر ابن القيم، مرجع سابق، ص 44 و 45.

اشتهرت الكثير من الكتابات في عهد النبي (ص) حتى نالت من الشهرة ما أعنى عن إيراد سندها، ونحن نوردنا بسندها كما ذكرها المحدثون.

أ- **كتابة الصحيفة:** بعد الهجرة النبوية إلى يثرب (المدينة) كان أول ما قام به النبي (ص) أن كتب ما اصطاح على تسميته بالصحيفة التي بين فيها أسس الدولة الجديدة والعلاقة التي تربط بين المسلمين وغيرهم من الطوائف الأخرى من أهل الكتاب، يقول بن القيم: "وودع رسول الله (ص) اليهود وكتب بينه وبينهم كتاباً"¹، وهي تحتوي على 16 عشرًا بنداً، ومفتحة بـ: "هذا كتاب من محمد النبي (ص) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم، وجاهد معهم..."².

وبسبب شهرتها وكثرة الروايات المتواترة بشأنها³، ومن أقدم تلك الروايات الواردة عن الإمام الزهري (49هـ/ 124 هـ)، ونقلها عنه الكثير من أصحاب السير والمغازي، منهم عبد الملك ابن هشام صاحب السيرة المشهور، وبالتالي فهي من حيث الصحة تعتبر صحيحة وثابتة⁴.

ب- **كتابه إلى سراقه بن مالك:** فقد ذكر البخاري قصة هذا الكتاب في صحيحه فروى عن أبي بكر (ض) قال: "ارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدرنا منهم أحد غير سراقه بن مالك بن جعشم على فرس له" يقول سراقه فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أنه سيظهر أمر رسول الله (ص)، وفي رواية أخرى أن نبي الله دعا عليه فساخنت به فرسه، فقلت له: إن القوم قد جعلوا فيك الدية... وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يزاراني ولم يسألاني إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي في رقعة من آدم ثم مضى رسول الله (ص)⁵، وفي رواية أوردها ابن القيم أن أبا بكر هو من كتب له في أديم⁶.

ت- **صلح الحديبية:** في السنة السادسة من الهجرة تصالح الرسول (ص) مع قريش بعد منعهم من دخول مكة معتمرين، وكتبوا بينهم كتاباً عرف فيما بعد بصلح الحديبية⁷، وكان ممثل قريش رجل يدعى سهيل بن عمرو، فقال له الرسول

¹ - ابن القيم، مرجع سابق، ص 291.

² - أنظر صفى الدين المباركفوري، مرجع سابق، ص 120.

³ - أنظر صبحي الصالح، مرجع سابق، ص 30..

⁴ - أنظر في طرق هذه الروايات محمد بن مصطفى الديبسي، السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، سنة 2010، ص 408.

⁵ - صحيح البخاري، حديث رقم 3908 وحديث رقم 3911، ص 461 و 462.

وقد أورد القصة كتاب السيرة ولم يغفلوها أنظر: الرحيق المختوم للمباركفوري، ص 199.

⁶ - أنظر: زاد المعاد، مرجع سابق، ص 387.

⁷ - وقد أورد القصة البخاري في صحيحه، حديث رقم 4180، ص 492.

الرسول(ص): "هات، اكتب بيننا وبينكم كتابا ، فدعا الكاتب..."¹ وتذكر أغلب الروايات أن الكاتب يومها كان علي بن أبي طالب(ض)، حيث دعاه النبي (ص) ليكتب الكتاب فأملى عليه... إلخ.²

ث- **مكاتبة الملوك والأمراء**: ويذكر أصحاب السير أن الرسول (ص) كتب عدة رسائل إلى ملوك ذلك الزمان يدعوهم فيها إلى الإسلام، وقد ذكر أصحاب السير والمغازي والسنن أخبار هذه الكتب واهتموا بنقلها وتحقيقها، فقد ثبت في الصحيحين³ عنه (ص) أنه كتب إلى هرقل عظيم الروم مع دحية بن خليفة الكلبي، وكتب إلى كسرى عظيم فارس مع عبد الله بن حذافة السهمي، وكتب إلى النجاشي ملك الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري، كما أرسل كتباً مع حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر، و نقل عن الواقدي بإسناده عن عكرمة قال وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته فنسخته فإذا فيه بعث رسول الله العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى وكتب إليه كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام، وأرسل كتاباً مع عمرو بن العاص إلى ملك عمان.... إلخ.⁴

أما المادة التي كتبت بها الرسالة فكانت الأدم وهو الجلود المدبوغة، وكان الأكثر استعمالاً عند العرب لوفرتة وقلة ثمنه.⁵

ج- الكتاب الذي أراد النبي - ص - أن يكتبه أثناء مرضه الأخير :

وقصة هذا الكتاب أوردها البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي(ص) وجعه قال: " اتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده"، قال عمر: غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنأ، فاختلفوا وكثر اللغط، قال: "قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع" فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وكتابه⁶، وأورده أيضاً تحت باب مرض النبي (ص) ووفاته وفيه بعض الزيادات.⁷

¹ - ابن القيم، مرجع سابق، ص 475.

² أنظر بتفصيل أكثر: المباركفوري، مرجع سابق، ص 404 و 405.

³ - صحيح البخاري، حديث رقم 4424 وما بعده، ص 519.

أنظر في شرح هذه الأحاديث: أحمد بن محمد القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، دار صادر، المطبعة الكبرى الأميرية، سنة 1886. طبعة 6، مج 8، ص 455.

⁴ - ابن القيم، مرجع سابق، ص 646 إلى 650، وانظر أيضاً الصفحة 45 و 46.

المباركفوري، مرجع سابق، ص 414 - 427.

⁵ - محمد عمر الشاهين، رسائل الرسول (ص) إلى الملوك والأمراء، مقال منشور بمجلة آداب الرفادين، عدد 54، سنة 2009، كلية ألداب، جامعة الموصل، العراق، ص من 205 إلى 235.

⁶ - صحيح البخاري، حديث رقم 114، ص 24.

⁷ - صحيح البخاري، حديث رقم 4431 وجديث رقم 4432، ص 520.

ح- النقوش:

● الخاتم: لما عزم النبي (ص) أن يكتب إلى الملوك والأمراء قال له بعض أصحابه، إن الملوك لا يقبلون كتاباً إلا وعليه خاتم، فاتخذ النبي خاتماً من فضة، نقشه: محمد رسول الله¹، وفي رواية له قال: "إنا اتخذنا خاتماً ونقشنا فيه نقشا فلا ينقش عليه أحد"²، وكان مكتوباً في ثلاثة أسطر، كل كلمة في سطر³، واختلف في الأسطر هل هي من الأسفل للأعلى كما ذكر صاحب الرحيق المختوم وغيره⁴ وهو الصحيح ليكون إسم الله في الأعلى⁵، أم العكس كما ذهب إليه آخرون⁶ حتى تكون القراءة سليمة، ولولا أن الخاتم ضاع من يد الخليفة عثمان (ض) وسقط في بئر أريس لما وقع هذا الخلاف.

● نقوش أخرى: عثر الباحث الدكتور حميد الله على عدة نقوش جنوب جبل سلع بالمدينة المنورة يرجع تاريخها إلى وقعة الخندق سنة 5 هـ⁷.

2-2- مرحلة الخلافة الراشدة.

في عصر الخلفاء الراشدين بقي الحال نفسه من خشية من كتابة السنة والتوسع في روايتها على حساب القرآن، ومما زاد من حدة التخوف من الكتابة والرواية الموقف الرسمي للدولة والمتمثل في المنع الذي أصدره عمر بن الخطاب (ض) من التحديث والإكثار من الرواية وتعنيف من يخالف ذلك كما فعل مع أبي هريرة (ض)، وعند الحاجة كان لا يقبل الحديث إلا بشهادة شاهدين يشهدان على صحته، وقد ذكر البيهقي أن عمر ابن الخطاب هم بكتابة الحديث وتدوينه، لكنه عدل عن رأيه وبرر ذلك بالقول: "إني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله عز وجل، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً".

غير أنه على المستوى الفردي كان يوجد من يكتب ويرسل بكتابه إلى الغير، ولأن موقف عمر (ض) لم يكن مجمعا عليه بين الصحابة فقد برز نشاط المجيزين للرواية والمكثرين منها، ولا سيما في عهد علي بن أبي طالب (ض) الذي كان يقول من يشتري مني علماً بدينار⁸، كما روي عن علي (ض) أنه قال: من زعم أن عندنا شيء نقرأه غير كتاب الله تعالى وهذه الصحيفة فقد كذب⁹ فقد روى البخاري عن أبي جحيفة قال قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في

1- صحيح البخاري، حديث رقم 5872 وحديث رقم 5873 و5875 و5877، ص 699.

صفي الدين المباركفوري، ص 414.

2- صحيح البخاري، حيث رقم، 5874 وحديث رقم 5788، ص 699.

3- أنظر صحيح البخاري، حديث رقم 5878، ص 700.

4 المباركفوري، مرجع سابق، ص 414..

5- أنظر موقع الدرر السنية: <https://dorar.net/hadith/sharh/708> - اطلع عليه يوم 20-09-2022، على الساعة 23:00.

6- موقع الإسلام سؤال وجواب، <https://islamqa.info/ar/answers/225509>، اطلع عليه يوم 20-09-2022، على الساعة 23:15.

7- ناصر الدين الأسد، مرجع سابق ص 32.

8- محمد بن مطر، مرجع سابق، ص 77.

9- محمد بن مطر، مرجع سابق، ص 78.

هذه الصحيفة، قال قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر¹، بل إن الخليفة الأول تذكر الروايات أنه كانت له صحيفة فيها فرائض الصدقة.

أما على المستوى الفردي فإن هذا الموقف الرسمي لم يدم طويلاً، فبمجرد وفاة عمر بن الخطاب (ض) فقد برزت بعض النشاطات العلمية في رواية الحديث وكتابته، فأصبح الكثير من الصحابة يروي مما سمعه أو كتبه عن النبي (ص)، ومن هؤلاء عبد الله بن أبي أوفى (ض) الذي كان يروي من صحيفة ورد ذكرها في صحيح البخاري. وصحيفة أبي موسى الأشعري وجابر بن عبد الله كما ورد من حديث مجاهد²، وتلك التي يرويها همام عن أبي هريرة (ض)... وهذه كلها كتابات تمت في عهد النبي (ص) وقام الصحابة بروايتها بعد زوال المانع.

أما التأليف والكتابة من خلال جمع الأحاديث والسنن فيظهر في بعض المجهودات الفردية القليلة ولا سيما من خلال الرسائل التي كانت تكتب وترسل من شخص إلى آخر، ومن هذا القبيل ما قام به زيد بن أرقم (ض) حيث كتب إلى أنس بن مالك (ض)³، بل إن الخلفاء عند الحاجة كانوا يلجؤون للبحث عن قضاء رسول الله (ص) فيما يعرض لهم من مسائل، مثل ما كتبه زيد بن ثابت إلى عمر بن الخطاب (ض) في مسألة الجد.

2-3- عصر التابعين.

في هذا العصر وبعد رحيل جيل الصحابة وخوفاً من ضياع السنة ظهر اهتمام كبير بالأحاديث النبوية رواية وكتابة، سواء على المستوى الفردي للعلماء أو على المستوى الرسمي للخلفاء.

2-3-1- تدوين السنة على المستوى الفردي: بذل الكثير من العلماء مجهودات معتبرة من أجل تدوين السنة وجمعها، ومن هؤلاء

ما كتبه سعيد بن جبيرة ومجاهد بن جبر عن ابن عباس (ض)، وما كتبه بشير بن نهيك وهمام عن أبي هريرة وصحيفة هشام بن عروة بن الزبير⁴.

2-3-2- تدوين السنة على المستوى الرسمي: فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن دينار قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي

بكر بن حزم: " انظر ما كان من حديث رسول الله (ص) فاكتبه، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء....".

وعن ابن شهاب الزهري قال: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفترًا دفترًا فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا⁵، وعن الإمام مالك قال: " أول من دون العلم ابن شهاب الزهري " يقصد السنن.

¹ - رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم 111، ص 24.

² - أنظر طبقات ابن سعد، مج 6، ص 20. ومج 7، ص 188.

³ - محمد بن مطر، ص 76.

محمد بن مطر، ص 83 وما بعدها.

⁴ - محمد الخضري بك، تاريخ التشريع الإسلامي، دار الشريعة، الجزائر، بدون طبعة وبدون سنة النشر، ص 180 وما بعدها.

⁵ - أبو عمر يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1، سنة 1994، حديث رقم 438، مج 1، ص 331.

أما التصنيف فلم يبدأ إلا بعد عصر التدوين أي بعد المئة الأولى وهو عصر صغار التابعين وتابعي التابعين، فأول من صنّف على الأبواب: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت 150 هـ) بمكة، والإمام مالك بن أنس (ت 179 هـ) أو محمد بن إسحاق بن يسار (ت 151 هـ) بالمدينة، والرّبيع بن صبيح (ت 160 هـ) أو سعيد بن أبي عروبة (ت 156 هـ أو 157 هـ) أو حماد بن سلمة (ت 167 هـ) بالبصرة، وسفيان بن سعيد الثوري¹.

ومن أبرز خصائص هذه المرحلة:

خ- ظهور الوضع في الحديث.

د- ظهور المذاهب والتيارات الفقهية والفكرية والعقائدية، مما جعل العلماء يميزون بين أهل السن والجماعة وغيرهم من التيارات الأخرى

ذ- الاهتمام بالسند وظهور علم الرجال أو علم الجرح والتعديل، وباقي علوم الحديث.

ر- تصنيف السنة وفق طريقة التبويب وحسب ترتيب أبواب الفقه، ولعل أشهر هؤلاء العلماء أصحاب المذاهب الأربعة، الإمام مالك بن أنس في الموطأ الذي قال فيه الشافعي أنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

خاتمة:

مما سبق تناوله يتضح لنا بأن الكتابة كانت معروفة عند العرب قديما، وأن هناك حضارات عربية قامت في عهود مختلفة وأماكن متفرقة، وأن عرب الجزيرة ولأسباب مختلفة لم تكن الكتابة منتشرة بينهم انتشارا كبيرا، وإن كان يوجد بينهم الكثير ممن يجيد الكتابة والقراءة.

وأن الخط العربي عرف تطورات كبيرة منذ نشأته حتى استقراره في شكله الأخير، وأنه انتقل إلينا بفضل الكتابات والنقوش التي تركها الأولون، ولا سيما عندما تم تكتابة القرآن والسنة اللذان كتبوا على نفس الخط الذي كان متداولاً عند العرب قبل الإسلام.

ولهذا فكما للقرآن فضل في الحفاظ على الحرف العربي فإن الكتابة والتدوين كان لهما الدور الأبرز في الحفاظ على القرآن الكريم والسنة النبوية، فبالرغم من جودة الحفاظ لدى الكثير من الصحابة إلا أنهم لم يكتفوا بذلك بل سارعوا إلى كتابة وتدوين ما سمعوه من الرسول (ص)، إلا أن كتابة القرآن نالت العناية الأوفر من النبي (ص) و من الصحابة من بعده.

أن القرآن الكريم تم جمعه على ثلاث مراحل، الأول كان مجرد تلقي القرآن من قبل كتبة الوحي من في الرسول (ص) ثم يقومون بحفظه وكتابته تحت عناية ورعاية الرسول (ص) نفسه، وفي المرحلة الثانية تم جمعه في عهد أبي بكر في مكان واحد بعد ما كان مفرقا، أما الجمع الثالث فكان في عهد عثمان (ض) حيث تم جمع المسلمين في كل قطر على حرف واحد من القرآن وبعث بعده نسخ إلى هذه الأمصار.

أما السنة فقد وقع تأخر في تدوينها، وإن كان هناك البعض من الصحابة الذين كانوا يكتبونها في عهد النبي (ص)، لكنها في الغالب كانت تعتمد في نقلها على الرواية وما هو محفوظ في الصدور، ولم يتم تدوينها تدوينا كاملا إلا بعد المئة الأولى من الهجرة.

¹ - أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المروزي، كتاب السنن، دار الصميمي للنشر والتوزيع، ط1، سنة 1997، ص 6.

وعليه نقترح:

ت- إعادة النظر في الكيفية التي تمت بها كتابة القرآن الكريم، وفك بعض الإشكالات مثل المصاحف العثمانية ومصحف حفصة، ولماذا لم يعد لهما وجود ولا أثر اليوم، وأيضا حقيقة الأحرف السبع والإختلاف الناشئ بين القراء وكيف حوaha مصحف عثمان.

ث- على المؤسسات العلمية الحديثة القيام بجهود جماعية ومؤسسية للإهتمام بالسنة وإعادة النظر في المصنفات القديمة، وتنقيح السنة مما علق بها من نصوص لا تتوافق مع روح الشريعة وقواعدها. وزيادة الضبط للنصوص المنسوبة للنبي (ص)، وهذا من خلال عدم الإكتفاء بعلم الجرح والتعديل وحده، بل بالإعتماد على جميع ما انتجه الفكر الإنساني الحديث من مناهج للكشف عن الحقائق التاريخية.